معالم عمران مدينة قسنطينة
من خلال مخطوط دفتر الأحباس

د. عبد القادر دحدوح
جامعة منتوري قسنطينة

ترجع بداية تعرفي على مخطوط دفتر الأحباس إلى شهر ديسمبر 2010 بالمكتبة الوطنية بالحامة، وبعد إطلاعي على المخطوط طلبت من مصلحة المخطوطات تصويره واعتكفت على تحقيقه ودراسة محتواه واستخلاص ما يمكن استخلاصه من المعارف حول مدينة قسنطينة، وقد وجدت أن المخطوط يضم معطيات تمس جوانب مختلفة من تاريخ المدينة خلال الفترة الممتدة بين منتصف القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي ومنتصف القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي.

ولعل من أهم الجوانب التي لفتت انتباهي معالم عمران المدينة، حيث قمت باستخراج قوائم لهذه المعالم وصنفتها إلى معالم دينية وتعليمية وتجارية ومرافق عامة. وفي هذه الدراسة أقدم تلك القوائم المستخرجة للمعالم مع مقارنتها بإحصائيات وقوائم ترجع إلى الفترة المتأخرة من الحكم العثماني لمعرفة أهم التغيرات والتطورات التي شهدها عمران مدينة قسنطينة.

التعريف بالمخطوط:

يوجد هذا المخطوط بالمكتبة الوطنية - الحامة بقسم المخطوطات تحت رقم: 3568، وقد كان في الأصل محفوظا بمكتبة الشيخ رابح بونار ثم قدم هدية للمكتبة قبل سنوات قليلة.

لقد سجل عنوان المخطوط ضمن مقدمة مقتضبة للناسخ وفق الصورة التالية "دفتر الأحباس"؛ بينما سجل في فهارس المكتبة الوطنية بعنوان "دفتر الحبوس لمدينة قسنطينة"، ويبدو أن الاسم الأول، هو الأصح إلا أن إضافة عبارة مدينة قسنطينة تعد ضرورية ليصبح العنوان واضحا ودقيقا بصورة أكثر.

يرجع نسخ غالبية المخطوط إلى الشيخ محمد بن أبي عبد الله بن نعمون، حيث من بين 36 ورقة يضمها المخطوط نجد عددا قليلا من الأوراق التي لم تنسخ بخط يده، وهي تتمثل في: وجه الورقة رقم 11، ظهر الورقة رقم 12، نصف ظهر الورقة 19، ظهر الورقة 34، والورقة 35، و الورقة 36، وقد كان ابن نعمون يختم بعض النصوص بتوقيعه وتوقيع الشاهد عبد اللطيف.

أما بقية الأوراق فهي بخط عبد الرحمن بن باديس (وجه الورقة 11 وظهر الورقة 12، وبظهر الورقة 20، ووجه وظهر الورقة 36) وأحمد بن سعيد (وجه الورقة 11)، وبالإضافة إلى هؤلاء هناك نصوص أخرى تحمل أسماء وتوقيعات في بعض الأحيان بطرة بعض الصفحات، وفي الغالب ما كانت الكتابات المسجلة في الهامش أو الطرة مسجلة في فترة لاحقة تتضمن ما طرأ على بعض الأوقاف من تغيرات من بيع أو خراب أو معاوضة وغير ذلك، يسجل فيها التاريخ أحيانا وأحيانا أخرى من دون تاريخ.

أما أصل النصوص المنسوخة فهي ترجع في كتابتها وتحريرها الأصلي إلى عدة كتاب، وبحضور شهود عدول مختلفين من فترة إلى أخرى، و من بين تلك الأسماء نذكر ما يلي:

شاهد/ كاتب	الاسم	التاريخ
شاهد	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد	ربيع الأول715/جوان1315
شاهد	أحمد بن محمد بن عبد المنعم	ربيع الأول715/جوان1315
شاهد	محمد بن يحيى بن عبد المنعم	ربيع الأول715/جوان1315
شاهد	عبد الكريم بن محمد بن عبود	ربيع الأول715/جوان1315
شاهد	عبد الله بن محمد بن أبي العباس	ربيع الأول715/جوان1315
شاهد	عبد الكريم بن محمد بن عبود وحسن بن بلقاسم بن باديس	ربيع الأول715/جوان1315
شاهد	حسن بن خلف الله بن علي	ربيع الأول715/جوان1315
شاهد	عبد الرحمن بن عبد الكريم بن عبد الرحمن	ربيع الأول715/جوان1315
شاهد	محمد بن احمد بن عبد المنعم	شعبان 789/اوت1387
شاهد	أبو الطيب بن إبراهيم المغراوي	ذي الحجة958/ديسمبر1551
كاتب	حسن بن جمعة المرواني الكتاب	ذي الحجة958/ديسمبر1551
شاهد	عبد الله بن علي القفصي	ذي الحجة958/ديسمبر1551
شاهد	محمد بن احمد الحمداني وسعد بن احمد الشريف	ربيع الأول 959/فيفري1552
شهادة	بشهادة العبد الفقير إلى الله تعلى يحيى	ربيع الأول

	بن محمد الفكون	940/سبتمبر1533
شاهد	الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد الكماد	رجب 962/ماي 1555
شاهد	الفقيه أبو عبد الله محمد المسبح	رجب 964هـ/ماي 1557م
شهادة	أحمد بن إبراهيم عبود معقود بشهادته رحمه الله	جمادي الأولى967/فيفري1560
كاتب	الشيخ الفقيه الإمام أبي زكرياء يحيى الفكون بن الشيخ أبي عبد الله محمد الفكون	رجب 969/مارس 1562
شهادة	عبد اللطيف بن محمد المسبح وفقه الله	جمادي الأولى970/نوفمبر1562
شاهد	وشهد له عبد الكريم بن بركات بن سعيد	رجب 970/مارس 1563
شاهد	محمد بن أبي الفضل الكماد	رجب 970/مارس 1563
شهادة	الشيخ المفتي العالم العلامة سيدي يحيى المحجوب	شعبان 970/مارس 1563
شهادة	الفقيه الأجل أبو العباس أحمد عبود	ذو القعدة 974هـ/ماي1567م
شهادة	سيدي محمد الفكون	ربيع الأول998/جانفي1590
شاهد	عبد اللطيف بن عبد الكريم بن سعيد	998هـ/1590م
شاهد	أحمد بن علي الجزيري	998هـ/1590م
شهادة	بشهادة الفقيه أبي عبد الله العطار رحمه الله	ربيع الاول1009/سبتمبر1600م
شاهد	إبراهيم بن يحيى الجزيري	رجب1017/اكتوبر1608
كاتب	عبد الله محمد بن يحيى بن باديس وفقه الله	ربيع الثاني 1023/ماي 1614

يعد المخطوط المشار إليه نسخة مستنسخة من مخطوط أصلي جمعت فيه أحباس وأوقاف مدينة قسنطينة، وهو يتضمن نصوص وقفية ترجع إلى فترات مختلفة، تتراوح تواريخها بين جمادي الثانية 669هـ/جانفي- فيفري 1271م و1057هـ/1647م. ويمكن القول أن النسخة الأصلية من المحتمل جدا أنها تعود إلى منتصف القرن 10هـ/16م، حيث ورد في الورقة 9 من المخطوط ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما هذا دفتر مبارك إن شاء الله يشتمل على الربع الموقوف على المجاورين بمكة المشرفة وعلى الربع الموقوف على المقامات والسبابل من قسنطينة وكتب بتاريخ اوايل محرم الحرام عام واحد وستين وتسعماية[1].

بينما دلت مقدمة بعض الأجزاء من المخطوط على تاريخ النسخ دون الاشارة الى تاريخ كتابتها في الدفتر الأصلي ومن الأمثلة على ذلك ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله (كذا) وصحبه وسلم تسليما، هذا زمام مشتمل يحول الله تعلى وقوته على أوقاف مساجد قسنطينة ومدارسها، الحمد الله تعلى بمنه منقول من دفتر الاحباس بقصد البحث على ما اهمل من الاحباس وذالك (كذا) ما يذكر بعد بتاريخ اوايل قعدة الحرام من عام أربعة وعشرين وألف[2].

ومن الأمثلة أيضا ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما هذا زمام مبارك ان شاء الله تعلى يشتمل يحول الله تعلى وقوته على أوقاف المدارس بمدينت (كذا) قسنطينة عمرها الله تعلى بذكره نقلت من دفتر الأحباس للبحث عنها وذالك بتاريخ اوايل حجة الحرام من عام أربعة وعشرين وألف[3].

---

[1] الموافق: ديسمبر 1552م.

[2] الموافق: أواخر نوفمبر 1615م.

[3] الموافق: أواخر ديسمبر 1615م.

وبالإضافة إلى هذه النصوص والتي منها ما يشير صراحة إلى تاريخ خطها في النسخة الأصلية ومنها ما يشير إلى تاريخ نسخها في المخطوط الذي بين أيدينا دون ذكر تاريخ كتابتها في المخطوط الأصلي، هناك نصوص سجلت في الدفتر المنسوخ سواء في فترة النسخ أو في فترات لاحقة وهي مأخوذة من وثائق أصلية لم يسبق و أن نقلت إلى المخطوط الأصلي للدفتر وتلك الوثائق تعود إلى فترات مختلفة.

كتب المخطوط بخط النسخ المغربي، إلا أنها ليست بخط نفس الخطاط، حيث ترجع كتابتها إلى أكثر من كاتب، خاصة وأن المخطوط وإن كانت بداية نسخه في سنة 1024هـ/1615م إلا أنه يتضمن نصوصا ألحقت به خلال سنوات لاحقة تصل إلى غاية سنة 1057هـ/1647م.

المخطوط متوسط، حيث يقدر عدد أوراقه بـ36 ورقة، ضاع جزء من الورقة رقم 6، ومقاسات المخطوط تقدر بـ45×17سم، ومن مجموع الأوراق المذكورة نجد وجه الورقة الأولى خالية من الكتابة، ونفس الحال بالنسبة للورقة رقم 11 التي تخلوا من كتابة الظهر، بينما تخلوا الورقة رقم 12 من كتابة الوجه، ويظهر من خلال تتبع نص المخطوط وتسلسل فقراته أن الورقتين 11 و 12 أضيفتا الى المخطوط في فترة لاحقة، حيث تعد الورقة رقم 13 مكملة للورقة رقم 10 وتالية لها.

المخطوط في جزء منه حالته جيدة، بينما تعرضت بعض الصفحات وهي قليلة إلى ضياع بعض الأجزاء منها خاصة الورقة الأولى والورقة رقم 6، كما أن بعض الصفحات سجلت فيها فقرات وتعاليق في الهامش (الطرة) لم تعد تظهر بعد عملية التجليد.

أهمية المخطوط:

للمخطوط أهمية بالغة، فهو من الناحية التاريخية يضم نصوصا ترجع إلى ثلاث فترات متباينة:

الفترة الأولى: تخص العهد الحفصي، حيث ترجع إلى هذه الفترة عدة أوقاف منها وقف يرجع إلى جمادي الثانية 669هـ/جانفي فيفري 1271م، ووقف آخر مؤرخ بربيع الأول 715هـ/ جوان-جويلية 1315م، ووقف يعود الى سنة 784هـ/1382-1383م،

وخلال هذه الفترة كانت مدينة قسنطينة تابعة للحكم الحفصي، فقد كانت سيطرة الحفصيين على المدينة منذ عهد أبي زكريا الحفصي (625-647هـ/1228-1249) في سنة 626هـ/1229م[1] واستمرت إلى غاية القرن 10هـ/16م.

الفترة الثانية: تمثل المرحلة الانتقالية من الحكم الحفصي إلى الحكم العثماني، وهي الفترة التي اختلفت بشأنها النصوص والدراسات التاريخية، وهي ليست بفترة قصيرة و لا تزال غامضة، حيث لا يعرف متى كان دخول العثمانيين إلى المدينة بشكل دقيق، فقد اختلفت النصوص التاريخية بشأنه[2]، وفي جميع الأحوال فإن الفترة تمتد من سنة 923هـ/1517م على حسب فايسات (Vayssettes)[3]، وإلى غاية اختيار قسنطينة عاصمة لبايلك الشرق الجزائري في سنة 975هـ/1567م[4]، وإلى هذه الفترة ربما ترجع كتابة النسخة الأصلية للدفتر، حيث جاء في الورقة التاسعة من المخطوط ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما هذا دفتر مبارك إن شاء الله يشتمل على الربع الموقوف على المجاورين

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، ج6، ص336. أنظر أيضا: روبار برنشيفك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت، ج1، ص50-51.

[2] لمعرفة جميع الآراء التي تحدثت عن تاريخ دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة أنظر: عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2010/2009، ج1، ص 91-96. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط4، 2005، ج1، ص 332.
E.Vayssettes, «Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837», *Recueil des Notices et Mémoires de la société Archéologique de la province de Constantine*, 1867. p. 39-44.

[3] E. Vayssettes, *op. cit.*, p. 275-285.

[4] محمد الصالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك يند قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، الجزائر، دار هومه، 2007، ص43-44.

بسكة المشرفة وعلى الربع الموقوف على المقامات والسبابل من قسنطينة وكتب بتاريخ اوايل محرم الحرام عام واحد وستين وتسعماية[1].

إن هذا النص و إن كان لا يؤرخ صراحة إلى تاريخ جميع أجزاء الدفتر الأصلي إلا أنه على الأقل يشير إلى أن تاريخ دفتر الأحباس الخاصة بمكة المشرفة والمقامات والسبابل بقسنطينة يعود إلى محرم 961هـ/ديسمبر 1552م، وهي السنة التي ترجع إلى الفترة الانتقالية المذكورة، كما أن المخطوط يضم العديد من الأوقاف ذكرت فيها نقودا وعملات حفصية مثل الدرهم الناصري، وهو عملة حفصية كان ظهر في أول أمره في عهد السلطان أبي عمرو عثمان بن محمد (839-893هـ/1435-1488م) واستمر الأمراء الحفصيين بعده في ضرب هذا النمط من الدراهم[2]، وفي هذا تأكيد على أن المدينة كانت لا تزال خلال هذه الفترة تتأرجح بين الحكم الحفصي من جهة والحكم العثماني من جهة ثانية.

الفترة الثالثة: تخص الفترة العثمانية حيث تبدأ من سنة 975هـ/1567م وإلى غاية سنة 1057هـ/1647م، و إن كانت النسبة الغالبة مؤرخة بسنة 1024هـ/1615م، وهي السنة التي تم فيها إعادة نسخ المخطوط وزيدت فيه نصوص أخرى، بينما الأوقاف التي ترجع إلى ما بعد سنة النسخ الاولى تكون ألحقت في المخطوط خلال الفترات اللاحقة.

وبالإضافة إلى البعد التاريخي فالمخطوط يحتوي على معطيات متنوعة يمكن أن يستفاد منها في مجالات بحث مختلفة، فقد ورد في المخطوط أسماء العديد من الفقهاء والكتاب والشهود، وناظري الأوقاف وأسماء الأماكن والمواضع بالمدينة وخارجها، وأسماء المساجد والزوايا والمدارس والأسواق والأحياء والحومات

---

[1] الموافق: ديسمبر 1552م.

[2] طاهر راغب حسين، تاريخ نقود دول المغرب من 441 إلى 982هـ دراسة في التاريخ والحضارة، د.م.ط، ط1، 1415/1994، ص280.

والشوارع والدروب والمقاييس والأوزان والعملات وغيرها، وفي هذه الدراسة نرد تقديم صورة حول عمران مدينة قسنطينة من خلال هذا المخطوط.

معالم عمرانية قسنطينية

تعد المصادر التاريخية التي تتحدث عن عمران مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني قليلة جدا، حيث لا تزال الكثير من الدراسات الحديثة تعتمد على ما كتبه الفرنسيون عن المدينة سواء عشية دخولهم إلى المدينة أو بعد ذلك، وأخص بالذكر هنا دراسة أرنست مرسيي (Ernest Mercier)[1] التي تعد مرجعية أساسية في هذا الموضوع، لكن تبقى هذه الدراسة بحاجة إلى إثراء ولا يتم هذا إلا من خلال الرجوع إلى المصادر خاصة تلك التي لم يطلع عليها مرسيي في دراسته، ونخص بالذكر هنا سجلات المحكمة الشرعية[2]، ودفتر أوقاف صالح باي[3]، وسجل الوفيات[4]، و دفتر

---

[1] Ernest Mercier, «Constantine avant la conquête française 1837», *Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de Constantine*, 1878, p. 66-67,76, 81-86. أما فيما يخص باقي الدراسات أنظر: فندلين (شلوصر)، قسنطينة أيام احمد باي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 76.

Ministère de la Guerre, *Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie*, Paris, 1838, p. 80. Laurent Féraud, «Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine», *Revue Africaine*, 1968, p. 130.

[2] ذكرت هذه السجلات في بعض الدراسات باسم سجلات عقود الزواج والطلاق، إلا أنني فضلت تسميتها بسجلات المحكمة الشرعية، لكونها تضم عقودا مختلفة لا تخص الزواج والطلاق فقط، حيث نجد فيها عقودا للبيع والشراء وعقود الصلح وتقاسم التركات والمواريث وعقود الصلح، وأحكام حول السرقة والتعديات على حقوق الغير، وغيرها من القضايا العامة، كما أنني وبعد تفحصي لبداية ونهاية أغلب السجلات لاحظت أنه ليس فيه إشارة إلى أنها تختص بعقود الزواج والطلاق، وإنما هي تخص عقودا عامة وبإقرار من القضاة، وللتدليل على ذلك نورد النص الذي افتتح به المجلد العاشر كما يلي: {الحمد لله هذا دفتر مبارك اعد لحفظ الوقائع والعقود الشرعية التي يحفظها العدول}، ويبلغ عدد هذه السجلات 12 سجلا متواجدة كلها بأرشيف ولاية قسنطينة.

[3] حقق هذا المخطط مؤخرا من طرف فاطمة الزهراء قشي، كما توجد منه نسخة مخطوطة مصورة بأرشيف ولاية قسنطينة.

الأحباس الذي أنا على وشك الانتهاء من تحقيقه، وفي هذه الدراسة سيظهر لنا مدى أهمية هذه المصادر في إثراء دراسة مرسيي[2] مثلما كان الحال في الدراسة التي قمت بها في رسالة الدكتوراه والتي من خلالها وقفت على أهمية تلك المصادر في إعادة تصور المعالم العمرانية لمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية[3].

وتعود أهمية المخطوط الذي بين أيدينا إلى أنه يمكننا من خلاله إعادة تصور التخطيط أو النسيج العمراني لمدينة قسنطينة وخلال فترة متقدمة من العهد العثماني، بينما ترجع السجلات والمصادر المذكورة إلى فترة متأخرة من العهد العثماني، حيث تؤرخ سجلات المحكمة بين سنتي: 1202-1253هـ/1787-1837م[4]، ويؤرخ سجل الوفيات بسنة 1256هـ/ 1840-1841م[5]، في حين نشر مرسيي دراسته في سنة 1878م وهو يتحدث فيها عن مدينة قسنطينة عشية احتلالها في سنة 1837 من طرف الفرنسيين[6].

أبواب المدينة

كانت مدينة قسنطينة من خلال ما جاء في دفتر الأحباس تضم ثلاثة أبواب رئيسية، هي باب القنطرة وباب الوادي وباب الجابية: وهناك باب ثانوي يعرف بباب الحنينشة. فأما باب الوادي فهو يقع في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، وهو يفتح على طريق رئيسي تتفرع منه معظم الطرق والشوارع المؤدية إلى مختلف أنحاء المدينة، كما أنه يفتح على السوق المركزي للمدينة الذي نجد به سوق التجار

---

[1] يتضمن هذا السجل معلومات قيمة بخصوص الحرفيين والصناع وأماكن إقامتهم، وأسماء الدور والأحياء والأزقة والشوارع، وقد اطلعت على نسخة مصورة منه بأرشيف ولاية قسنطينة.

[2] E.Mercier, *op. cit.*, p. 66-67,76, 81-86.

[3] في الرسالة المذكورة تم استخراج قوائم لمختلف معالم عمران مدينة قسنطينة كالمساجد والزوايا والمدارس والحمامات والفنادق، وهي قوائم فيها إضافات عما ذكره مرسيي. أنظر: عبدالقادر دحدوح، المرجع السابق: ج1، ص 109-128، 193-271.

[4] أرشيف ولاية قسنطينة.

[5] أرشيف ولاية قسنطينة.

[6] عبدالقادر دحدوح، المرجع السابق، ج1: ص264.

والسوق الكبير وسوق الخلق والأسواق المتخصصة[1]. أما باب الجابية فهو يقع أسفل باب الوادي في موضع منخفض يؤدي إلى حي باب الجابية، ومنه ينطلق شارع رئيسي يوصل إلى باب القنطرة، ولا يبعد هذا الباب عن باب الوادي إلا بحوالي 200 خطوة[2].

باب القنطرة يقع بالجهة الشرقية من المدينة وهو المنفذ الوحيد للمدينة بهذه الجهة، ينفتح هذا الباب على حي القنطرة، وإليه تصل الشوارع الرئيسية للمدينة لتربطه بالأبواب الأخرى، وبمختلف جهات وأحياء المدينة، وقد كان يتقدمه جسر بني منذ العهود القديمة، ومع مرور الزمن بدأ ينهار إلى أن قام صالح باي (1185-1207هـ/1771-1792م) بإصلاحه، وجلب له مهندسا إسبانيا من ماهون بالبليار يدعى دون بارتولوميو (Don Bartholomeo) وانطلقت الأشغال فيه في سنة 1200هـ/1775م، ولم تنته إلا في عهد حسين باي بن حسن بوحنك (1207-1212هـ/1792-1795م)[3].

وقد كانت المدينة قبل هذه الفترة تضم بابان فقط على حسب الشريف الإدريسي (ت 560هـ/1164م) وهما « باب ميلة في الغرب وباب القنطرة في الشرق»[4]، وفي فترة لاحقة لفترة نسخ المخطوط تم استحداث باب رابع وهو الباب الجديد الذي كان في أول الأمر بابا صغيرا «يخرج منه الآدمي»[5]، ثم وسع على

---

[1] الحاج أحمد بن المبارك، تاريخ حاضرة قسنطينة، صححه وعلق عليه نور الدين عبدالقادر، الجزائر، 1952، ص9.أنظر أيضا: E. Mercier, op. cit., p. 61.

[2] فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 73.

[3] محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص79، 82، 85. انظر ايضا: الحاج احمد ابن المبارك، المصدر السابق، ص26. رشيد بورويبة، قسنطينة، سلسلة الغرر والثقافة، الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، 1980، ص119. E. Mercier *Histoire de Constantine*, Constantine. 1903, p. 295-296. E.Vayssettes, op-cit. P139-141

[4] الشريف الإدريس، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1989، ج1، ص 265-266.

[5] الحسن بن محمد السعيد الشريف الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1394/1974، ص685.

حسب ما ذكر شلوصر في سنة 1252هـ/1836م وصار مقوسا، كما كان يعرف أيضا بباب الرحبة نسبة إلى رحبة البلد التي ينفتح عليها[1]، وقد كان هذا الباب حسب شربونو (Cherbonneau) مخصص لخروج الباي[2].

شوارع المدينة:

يعد ما جاء في مخطوط دفتر الأحباس من أقدم المصادر التي أمدتنا بأسماء شوارع و أزقة مدينة قسنطينة، حيث تم إحصاء أسماء خمسين شارعا، وقد كانت هذه الشوارع من حيث المصطلح تعرف بالزقاق أو الزنقة أو الرايغة، وفي الغالب ما تحمل اسم أشخاص مثل رايغة ابن أبي الخير ورايغة ابن افوناس وغيرها، وأزقة أخرى حملت اسمها من السوق الذي تنفتح عليه مثل رايغة الخراطين و رايغة الحدادين كما هو مبين في الجدول التالي:

قائمة الشوارع والأزقة					
1	درج باب الجابية	18	رايغة ابن القاضي	35	رايغة عشابة
2	رايغة ابن أبي الخير	19	رايغة ابن الشهيد بمحلة المصاصة	36	رايغة الغالة
3	رايغة ابن أبي القاسم الزلايق	20	رايغة ابن حيدرة	37	رايغة القايد ميمون
4	رايغة ابن افوناس	21	رايغة ابن هارون	38	رايغة قدا البابارى
	رايغة ابن بلال	22	رايغة أبي الحسن البوعكاكي	39	رايغة السلاوي
6	رايغة ابن تامر المزابي	23	رايغة أبي عبد الله محمد بن جلول	40	رايغة السواري

[1] فندلين شلوصر، المرجع السابق، ص 73-75.

[2] A. Cherbonneau, «Inscriptions arabes de la province de Constantine», *Annuaire de la société archéologique de la province de Constantine*, 1856-1857, p. 95.

7	رايغة ابن جلال	24	رايغة اولاد بن باديس	41	رايغة الشواشين
8	رايغة ابن داوود	25	رايغة اولاد بن عبد الصمد	42	رايغة الواورتي
9	رايغة ابن الدرجية	26	رايغة البغلة	43	زنقة البواهي
10	رايغة ابن الكماد	27	رايغة البوني	44	زنقة الحراني
11	رايغة ابن مفتاح	28	رايغة الحجامين	45	زنقة القرامدي
12	رايغة ابن مشعل	29	رايغة الحدادين	46	زلاقة ابن زيان
13	رايغة ابن عبد الجليل	30	رايغة الخراطين	47	زلاقة الوشتاتي
14	رايغة ابن عبد الواحد	31	رايغة الدرداف	48	زقاق البلاط
15	رايغة ابن عبود	32	رايغة الزقاق الضيق	49	زقاق طبل
16	رايغة ابن عمار	33	رايغة الماجوكوني	50	شارع الزلاقة
17	رايغة ابن عناب	34	رايغة الملاح		

أحياء المدينة

ورد في دفتر الأحباس أسماء عدة أحياء، إلا أن تلك الحومات لا يمكن معرفة أماكن توزعها على المدينة بشكل دقيق، كما أنه يظهر ومن خلال المخطوط أنها كانت تتدرج بين أحياء رئيسية وأخرى ثانوية، ومن الأمثلة على ذلك محلة زقاق البلاط بحومة باب القنطرة، وحجار بن يلول بمحلة البيازرة ثم تذكر محلة حجار بن يلول.

ويتفق مع هذا التقسيم ما جاء في سجلات المحكمة الشرعية، حيث تبين لي من خلالها أن المدينة لم تكن مقسمة إلى أحياء كبيرة تنضوي تحتها أحياء ثانوية فقط،

وإنما كانت هذه الأحياء الثانوية هي الأخرى مقسمة إلى أحياء صغيرة، ونضرب مثالا على ذلك ما ورد في المجلد الأول من السجلات المذكورة أسماء لثلاثة أحياء متدرجة كما يلي:

1- "حومة باب الجابية"[1]

2- "حومة المزابل بباب الجابية"[2]

3- "أقواس بن نجدة من حومة المزابل"[3]

4- "محلة أقواس بن نجدة بالمزابل"[4]

5- "حومة أقواس بن نجدة"[5]

من خلال هذه النصوص يظهر أن الحي الرئيسي هو حي باب الجابية، والحي الثانوي هو حومة المزابل، ثم تتفرع هذه الحومة إلى حومات أصغر، منها حومة أقواس بن نجدة.

وعلى الرغم من أن أهمية المعلومات التي يقدمها لنا دفتر الاحباس وكذلك سجلات المحكمة الشرعية والدراسات التي قام بها مرسيي (Mercier)[6] وباغون (Pagand)[7] على الخصوص إلا أن الفصل بين أحياء المدينة وتحديد أماكن توزعها بشكل دقيق يبقى أمرا صعبا، كما أننا نسجل إختلافا بين المصادر والدراسات المذكورة في تحديد أحياء المدينة مثلما هو موضح في الجدولين التاليين:

---

[1] سجلات المحكمة الشرعية بقسنطينة، الصدر السابق، ج1، ص 141.

[2] نفسه، ج1، ص 66.

[3] نفسه، ج1، ص 170.

[4] نفسه، ج1، ص275.

[5] نفسه، ج1، ص208.

[6] E. Mercier, Constantine avant la conquête, *op. cit*, p. 67,69,73-76.

[7] B. Pagand, *Analyse architecturale et urbaine de la Médina de Constantine*, Mémoire de DEA, Université de Poitiers, 1983. P34-36. B. Pagand, *La Médina de Constantine, de la ville traditionnelle au centre de l'agglomération contemporaine*, Thèse Doctorat 3° Cycle, Département de Géographie, Université de Poitiers, 1988. p. 183-193.

قائمة أحياء المدينة حسب دفتر الأحباس					
1	البطحا	16	محلة البيازرة	31	محلة النغاش
2	رؤوس الدواميس	17	محلة حجار بن يلول	32	محلة صنهاجة
3	الطابية	18	محلة حجرة البير	33	محلة غدير أبي الغارات
4	كدية عاتي	19	محلة الراحة	34	محلة قبة بشير
5	الحارة الحمراء	20	محلة رحبة الصوف	35	محلة القصاعين
6	حارة الطبالة	21	محلة زقاق البلاط	36	محلة سابط الهراصي
7	حومة باب الجابية	22	محلة الزقاق الضيق	37	محلة السردانيين
8	حومة كوشت الجص	23	محلة كتاب أبي زاكي	38	محلة سوق السمادين
9	حومة المصاصة	24	محلة المتوسين	39	محلة سوق الموقف
10	حومة سلام	25	محلة المعصرة	40	محلة سوق العطارين
11	محلة افران بروا	26	محلة مسجد بن عناب	41	محلة سويقة باب الجابية
12	محلة اقواس بن نجدة	27	محلة مسجد بني فرغان	42	محلة الشريعة

13	محلة باب القنطرة	28	محلة مسجد العربي	43	القصبة
14	محلة باب الوادي	29	محلة الميليين	44	السواري
15	محلة بني تمامة	30	محلة النجارين	45	شارع اليهود

قائمة أحياء المدينة حسب مرسيي (Mercier) وباغون (Pagand)

	الحي الثانوي	الحي الرئيسي		الحي الثانوي	الحي الرئيسي
1	حي ميلة الصغيرة	حي باب القنطرة	11	الطابية الكبيرة	حي الطابية
2	حومة سيدي أبي معزة		12	الطابية البرانية	
3	الحارة الحمراء		13	حومة صواري	
4	حومة سيدي الجليس		14	حومة الموقف	
5	حومة الشارع		15	حومة مصاصة	
6	حومة سيدي راشد	حي باب الجابية	16	محلة العمامرة	حي القصبة
7	حومة بير المناحل				
8	حومة الطبالة		17	حومة قديدة	
9	حومة الشط				
10	حومة البطحا				

المساجد:

لقد اختلفت الدراسات في تقدير عدد المساجد بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، حيث كان عددها حسب وثيقة عثر عليها الأستاذ ابو القاسم سعد الله ترجع

لسنة 1006هـ/1598م 71 مسجداً[1]، وفي عهد صالح باي (1185-1207هـ/1771-1792م)، و على حسب ما جاء في مقدمة دفتر أوقافه قدرها فيرو (Féraud) بخمسة وسبعين مسجدا داخل المدينة وخمسة خارجها[2]، بينما يقول ايميريت (Emerit) بأن عددها 35 مسجدا فقط[3]، وفي وثيقة أخرى -يبدوا أنها ترجع إلى فترة متأخرة بعد الدخول الفرنسي- نشرها احميدة عميراوي تضم 63 مسجداً[4]، في حين حددها ميرسي (Mercier) بـ69 مسجدا داخل أسوار المدينة[5].

أما مخطوط دفتر الأحباس فقد جاء فيه ذكر 78 مسجدا منها مسجدان جامعان، وهما الجامع الكبير بالبطحاء وجامع القصبة وكلاهما يرجع إلى فترات سابقة للعهد العثماني، وفي ما يلي قائمة المساجد المستخرجة من الدفتر المذكور:

قائمة المساجد					
1	الجامع الأعظم	27	مسجد المجليس	53	مسجد فليو
2	الجامع الأعظم بالقصبة	28	مسجد الجوزا	54	مسجد فليو الشرقي
3	مسجد ابن أبي رغدة	29	مسجد حبيب	55	مسجد الفصيلي
4	مسجد ابن أبي العباس	30	مسجد الحدادين	56	مسجد القروي
5	مسجد ابن باديس	31	مسجد الحلفاويين	57	مسجد القلالين

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص246، الهامش 45.

[2] L. Féraud, *op. cit.*, p. 130.

[3] M. L. Emerit, *L'Algérie à l'époque d'Abdelkader*, Paris, S.D, p. 235.

[4] احميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، دار الهدى، 2004، ص 150-153.

.153

[5] E. Mercier, Constantine avant la conquête, *op. cit.*, p. 66-67.76, 81-86.

6	مسجد ابن ترتارة	32	مسجد حفصة	58	مسجد قيس		
7	مسجد ابن حسون	33	مسجد الخرازين	59	مسجد سيدي أبي معزة		
8	مسجد ابن حيدان	34	مسجد الخضارين	60	مسجد سيدي بلال		
9	مسجد ابن الريم	35	مسجد الراشدي	61	مسجد سيدي خزر		
10	مسجد ابن الطنجية	36	مسجد المتوسين	62	مسجد سيدي راشد		
11	مسجد ابن منديل	37	مسجد الزكيكي	63	مسجد سيدي منجل		
12	مسجد ابن علناس	38	مسجد زقاق البلاط	64	مسجد سيدي مغرف		
13	مسجد ابن عناية	39	مسجد الطبالة	65	مسجد سيدي مفرج		
14	مسجد أبي عبد الله محمد النجار	40	مسجد الكتاني	66	مسجد سيدي مسلم		
15	مسجد ابن قومة	41	مسجد كرامة	67	مسجد سيدي ميمون		
16	مسجد ابن قموش	42	مسجد زاوية ساباط الهراصي	68	مسجد سيدي عبد الملك		
17	مسجد ابن هجام	43	مسجد المناتقي	69	مسجد سيدي عبد الهادي		
18	مسجد أبي زاكي	44	مسجد مقعد صنهاجة	70	مسجد سيدي علي بن مخلوف		

19	مسجد ابن قنيف	45	مسجد المهدي	71	مسجد سيدي عمر الوزان
20	مسجد الأربعين شريفا	46	مسجد النقاش	72	مسجد سيدي ياسمين
21	مسجد الأندلسي	47	مسجد الصفار	73	مسجد شداد
22	مسجد باب الوادي	48	مسجد العاجي	74	مسجد الشريف المشرف
23	مسجد البلاط	49	مسجد العربي	75	مسجد الشرفا
24	مسجد البازري	50	مسجد العنابة	76	مسجد شقفة
25	مسجد بني قرغان	51	مسجد عفان	77	مسجد الشواشين
26	مسجد رحبة الصوف	52	مسجد الفوالين	78	مسجد الورغاطي

المدارس:

جاء في تقرير حول التعليم العمومي الأهلي بقسنطينة في سنة 1848 أن قسنطينة عند احتلالها كانت تضم 7 مدارس ثانوية و 90 مدرسة ابتدائية[1]، أما دفتر أوقاف صالح باي فقد جاء فيه ذكر خمس مدارس، وهي مدرسة سيدي الكتاني[2] ومدرسة جامع سوق الغزل، ومدرسة سيدي أبي قصيعة: وفي خارج أسوار المدينة كانت مدرسة سيدي بو مصيبة ومدرسة سيدي هيلوف[3]، وتضيف النصوص التاريخية

---

[1] عبدالحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص209. أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، الهامش121، ص 235..276 M. L. Emerit, *op. cit.*, p.

[2] دفتر أوقاف صالح باي، مصدر سابق، ص68-70.

[3] L. Féraud, *op. cit.*, P130-131.

والكتابات الأثرية مدرسة أخرى كانت داخل أسوار المدينة، وهي مدرسة الجامع الأخضر[1].

ويبدوا أن المدارس الثانوية هي ما كانت تطلق عليه النصوص التاريخية والوثائقية اسم "المدرسة"، بينما المدارس الابتدائية كانت تعرف بالكتاتيب، فقد ورد المصطلحان معا في نفس المصدر، حيث يذكر عبد الكريم الفكون (ت1073هـ/1662م) مدرسة آل فكون ومدرسة افوناس، و مكتب ابن الفكون ومكتب سيدي علي بن مخلوف[2]، كما يذكر أحمد النقاد المدرسة التي بناها صالح باي بجوار جامع سيدي الكتاني، ويذكر أيضا كتابا بناه القائد رضوان بجوار زاويته[3].

أما دفتر الأحباس فقد وردت فيه أسماء بعض المدارس، وهي إما مدارس مستقلة بذاتها مثل مدرسة بن مناد ومدرسة الحتاشين ومدرسة الصباغين، وإما ملحقة بمسجد أو زاوية كما هو الحال في غالبية المدارس والكتاتيب، وفي ما يلي القائمة المستخرجة من الدفتر:

قائمة المدارس			
1	مدرسة ابن الذب	8	مدرسة الصباغين
2	مدرسة بن مناد	9	مدرسة سيدي مسلم الحواري
3	مدرسة بني الفكون	10	مدرسة سيدي عبد الهادي
4	مدرسة ابن واعر	11	المدرسة الشرقية
5	مدرسة الحتاشين	12	مكتب ملاصق لمسجد بن قومة

[1] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص128.

[2] عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987، ص 37-38، 50-51، 70، 110.

[3] محمد الطاهر بن أحمد النقاد، ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس، رقم 263، و 10، 20.

حجرة للقراء بمسجد يمن	13	مدرسة الرقاقين	6
مكتب بمسجد السويقة	14	مدرسة برايغة النجارين	7

الزوايا

الزوايا هي الأخرى كانت منتشرة بقسنطينة، وقد تضاربت الآراء حول عددها، فحسب الوثيقة التي عثر عليها أبو القاسم سعد الله والمؤرخة بـ1006هـ/1598م فان عددها كان ثمانية[1]. أما دفتر أوقاف صالح باي فقد قدرت فيه بـ13 زاوية[2]، بينما يذكر ميرسيي (Mercier) في القائمة التي أعدها حول معالم قسنطينة، التي كانت موجودة في سنة 1837 بان عدد الزوايا يقدر بـ11 زاوية[3]، كما أورد احميدة عميراوي قائمة لبعض الزوايا في وثيقة تعود إلى بداية الاحتلال الفرنسي تضم 12 زاوية[4]، أما دفتر الأحباس فقد جاء فيه ذكر 19 زاوية كما هو مبين في الجدول التالي:

قائمة الزوايا					
زاوية القفصي	15	زاوية بالحلفاويين	8	زاوية ابن الدب	1
زاوية سيدي عمر الوزان	16	زاوية الحواري	9	زاوية بن باديس	2
زاوية سيدي مسلم	17	زاوية بدرج باب الجابية	10	زاوية ابن القاضي	3
زاوية سيدي عبد الهادي	18	زاويت الرماح	11	زاوية ابن وأعر	4
الزاوية الشرقية	19	زاوية الرقاقين	12	زاويت بن عبد المنعم	5

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، الهامش 86، ص263.

[2] L. Féraud, *op. cit.*, p. 130.

[3] E.Mercier, Constantine avant la conquête, *op. cit.*, p. 91-92.

[4] احميده عميراوي، المرجع السابق، ص 142-143.

		زاوية مواجهة للجامع الأعظم	13	زاوية ابن شقشوق	6
		زاوية التجارين	14	زاوية الثمان	7

الأسواق والمرافق التجارية

كانت مدينة قسنطينة تضم عدة أسواق عامة ومتخصصة، فأما العامة فقد جاء في المخطوط ذكر خمسة عشر سوقا، بينما الأسواق المتخصصة بلغ عددها 29 سوقا، وهي تتوزع على أماكن مختلفة من المدينة، وإن كان أغلبها يحتل مركز المدينة على غرار سوق التجار الذي يعد أكبر أسواق المدينة وسوق الخلق وسوق الغزل وسوق رحبة الصوف والسوق الكبير، ونفس الأمر ينطبق على الأسواق المتخصصة التي تتوزع على طول الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الوادي وباب القنطرة ويمر عبر سوق التجار وسوق الخلق، ويظهر من خلالها مدى تنوع الحرف والصنائع بالمدينة والتي كانت تشمل الصناعات المعدنية والممثلة في الحدادين والصاغة والصفارين والخرازين والسكاكين والرقاقين، والصناعات النسيجية والممثلة في الشواشين والصباغين وغيرها، والصناعات الخشبية كالنجارين والخراطين، والصناعات الجلدية كالدباغين والسراجين، والصناعات الفخارية كالقلالين وغيرها من الحرف.

وقد كانت هذه الأسواق في عمومها في شكل حوانيت مصطفة تنفتح على الشارع، حيث ورد في المخطوط أسماء حوالي 78 حانوتا مع ذكر ملاكها، وفي بعض الأحيان كانت تذكر الحرفة التي تمارس في الحانوت كما هو الحال بالنسبة للحوانيت التي كانت معدة لصناعة الفخار. وفي ما يلي نورد قائمة لأسواق المدينة المذكورة في المخطوط:

قائمة الأسواق العامة					
سوق الغزل	11	سوق رحبة الصوف	6	سوق باب الوادي	1
سويقة بباب	12	سوق زقاق	7	سوق البركة	2

القنطرة		البلاط			
سويقة باب القصبة	13	السوق الكبير	8	سوق بني عاتي محمد	3
سويقة بن ثعلب	14	سوق الموقف	9	سوق التجار	4
سويقة هوارة	15	سوق غدير أبي الغارات	10	سوق الخلق	5

قائمة الأسواق المتخصصة

سوق القلالين	21	سوق الزياتين	11	سوق البرادعيين	1
سوق القصاعين	22	سوق الكمادين	12	سوق الحدادين	2
سوق القشاشين	23	سوق المتوسين	13	سوق الحطابين	3
سوق السراجين	24	سوق النجارين	14	سوق الحلفائيين	4
السردانيين	25	سوق الصاغة	15	سوق الخرازين	5
سوق السكاجين	26	سوق الصباغين	16	سوق الخراطين	6
سوق السمادين	27	سوق الصفارين	17	سوق الخضارين	7
سوق الشكازين	28	سوق العطارين	18	سوق الدباغين	8
سوق الشواشين	29	سوق القطاعين	19	سوق الدهانين	9
		سوق القطاطين	20	سوق الرقاقين	10

بالإضافة إلى الأسواق كانت مدينة قسنطينة تضم عدة فنادق ورد ذكرها في المخطوط والمتمثلة في كل من فندق أولاد بن بلقاسم، وفندق بن جلول، وفندق بن سباع، وفندق البونيين، وفندق الروم، وفندق الصباغين، وفندق الفواكه، وفندق في التزام بن جفال النجار، إلا أن هذه الفنادق ومع نهاية الحكم العثماني لم يعد لها ذكر حيث لا نجدها ضمن إحصائيات مرسيي ولا ضمن المخطوطات التي رجعنا إليها، مثل سجلات المحكمة الشرعية أو سجل الوفيات أو دفتر اوقاف صالح باي، حيث ورد في هذه المصادر أسماء فنادق أخرى مما يعني أن فنادق القرنين 10-11هـ/16-17م إما زالت وشيدت في مكانها أو في غيرها من المواضع بالمدينة فنادق أخرى، أو أن أسماءها تغيرت مع الزمن، وفي ما يلي نورد قائمة الفنادق التي ذكرتها النصوص والمصادر خلال أواخر العهد العثماني:

	اسم المعلم	المصدر أو المرجع
01	فندق صالح باي	دفتر أوقاف صالح باي[1]
02	فندق سوق الخرازين	
03	فندق بن نعمون	
04	فندق بني مزاب	سجل الوفيات[2]
05	فندق بن نويوة[3]	قائمة مرسيي[4]
06	فندق الزيت	
07	فندق قيسارلي	

وإلى جانب الفنادق عرفت مدينة قسنطينة التربيعات، والتي يقصد بها حوش مربع تحيط به حواصل أو حوانيت أو دورات مياه ذات ميضآت فقيل: "تربيعة بها

[1] دفتر أوقاف صالح باي، المصدر السابق، ص 18، 31.

[2] سجل الوفيات، المصدر السابق، ص 63، 64، 73، 99.

[3] ورد ذكر هذه الكوشة أيضا في كل من: سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج1، ص 246، 246، 262. سجل الوفيات، المصدر السابق، ص33، 40.

[4] E. Mercier, Constantine avant la conquête, *op. cit.*, p. 90-91.

حوانيت متجاورة ومتقابلة يمنة ويسرة"[1]. ومن خلال سجلات المحكمة يظهر أن المقصود بالتربيعة بمدينة قسنطينة تلك المنشآت التجارية التي كانت تضم مجموعة من الحوانيت، والتي في الغالب ما كانت مخصصة لبعض الحرف الصناعية، مثلما يظهر من تسميات البعض منها كتربيعة الصباغين وتربيعة الفحامين وتربيعة الصاغة وتربيعة القلالين وتربيعة اللبن، وفي ما يلي قائمة للتربيعات المذكورة في المخطوط:

قائمة التربيعات					
تربيعة عبد الكريم الحليمي	17	تربيعة بغدير أبي الغارات	9	تربيعة ابن أبي ضرسة	1
تربيعة عين ادقا بالجباي	18	تربيعة بسوق الصاغة	10	تربيعة ابن أبي شفه	2
تربيعة فتحون	19	تربيعة بسوق الغزل	11	تربيعة بن رُخنين	3
تربيعة الفحامين	20	تربيعة بسوق هوارة	12	تربيعة ابن ميمون	4
تربيعة القريني	21	تربيعة بسويقة بن ثعلب	13	تربيعة بن عشابة	5
تربيعة القلالين	22	تربيعة الحريريين	14	تربيعة بحجر السطح	6
تربيعة السواري	23	تربيعة اللبن	15	تربيعة برايغة الوشتاتي	7
تربيعة...عليوة الباجي الصبان	24	تربيعة الصباغين	16	تربيعة بمحلة اقواس بن ة	8

[1] عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000، ص 48.

ومن بين هذه التربيعات استمرت كل من تربيعة الصباغين وتربيعة الفحامين إلى غاية نهاية الحكم العثماني كما يظهر من خلال الإحصائيات المستخرجة من سجلات المحكمة الشرعية ودراسة مرسيي (Mercier) مثلما هو موضح في الجدول التالي:

	اسم المعلم	المصدر أو المرجع
01	تربيعة القوس	سجلات المحكمة الشرعية[1]
02	تربيعة حومة أفران برو	
03	تربيعة حومة الصباغين[2]	
04	تربيعة الماجن[3]	قائمة مرسيي[4]
05	تربيعة حوكة	
06	تربيعة رحبة الجمال[5]	
07	تربيعة بن الجزار	
08	تربيعة بن قانة	
09	تربيعة الفحامين	

ومن بين المرافق التجارية الكوشات والأفران، وهي التي كان للحسبة دور كبير في التحكم في توزيعها داخل أحياء المدينة، حيث كانت فقد كان المحتسب

---

[1] سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج1، ص 94، 245، ج2، ص 468.

[2] ورد ذكر هذه التربيعة في دفتر أوقاف صالح باسم "تربيعة الفندق" بسوق الصباغين دفتر أوقاف صالح باي، المصدر السابق، ص 28.

[3] ورد ذكر هذه الكوشة في سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات بصيغة "الماجل" وهو الأقرب إلى الصواب. أنظر: سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج2، ص 473، 474. سجل الوفيات، المصدر السابق، ص 33.

[4] E. Mercier, Constantine avant la conquête, *op. cit.*, p. 90-91.

[5] ورد ذكر هذه أيضا في: سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج2، ص 352.

يحرص على توزيع الفرانين أو الخبازين «على الدروب والمحال وأطراف البلد لما فيها من المرافق وعظم حاجة الناس إليهم»[1]، وقد سارت قسنطينة على هذا النهج، حيث كانت بها عدة كوشات بلغ عددها حسب المخطوط 22 كوشة وفرنا، نذكرها في ما يلي:

قائمة الكوشات					
كوشة في جزاء القايد يلس	11	كوشة برحبة الصوف	6	كوشة ابن الابشق	1
فرن برحبة الصوف	12	كوشة بمحلة غدير أبي الغارات	7	كوشة ابن دوراك	2
كوشة قريبة من مسجد ابن هجام	13	كوشة بقرب ديار بني مزديو	8	كوشة ابن القنفذ الخطيب	3
فرن للمراكشي بسويقة بن ثعلب	14	كوشة النصارى	9	كوشة اسفل زقاق البلاط	4
فرن قريب من مسجد ابن هجام	15	كوشة دبيبة	10	كوشة برحبة الجمال	5

الحمامات والأسبلة

ومن المرافق العامة نذكر الحمامات والأسبلة، فأما بالنسبة للحمامات فقد بلغ عدد ما ذكر منها بدفتر الأحباس ثمانية، ستة منها استمرت إلى غاية نهاية الحكم العثماني، حيث جاء ذكرها ضمن إحصائيات مرسيي وفي سجلات المحكمة الشرعية وهي تشمل كلا من حمام بن النعمان، حمام بقرب مسجد الباب، الحمام الصغير، حمام السلطان، حمام دقوج، حمام الهوى، في حين لم نجد ذكرا للحمام الجديد

[1] عبد الرحمن بن نصر الشيزري، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح السيد الباز العريني، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1946/1365، ص 24.

وحمام الحتاشين في النصوص اللاحقة، وفي هذه المصادر تم ذكر 12 حماما منها ستة لم يسبق ذكرها في دفتر الأحباس تتمثل في: حمام بحومة أقواس بن نجدة[1]، حمام أبي بعاية، حمام قاع العطارين، حمام بن شريف، حمام بن جلول، حمام سوق الغزل[2].

الأسبلة هي الأخرى من المعالم التي وردت في المخطوط، حيث ذكرت كل من سبالة الموقف و سبالة سوق الحدادين و سبالة رحبة الصوف و سبالة أسفل العطارين، سبالة باب الوادي، ومع أواخر العهد العثماني استمر ذكر سبالة باب الوادي، كما ذكرت سبالات أخرى منها سبالة باب الجابية، وسبالة سيدي سعيد الصفروي[3]، وقد قدر عدد الأسبلة بالمدينة عند دخول الاستعمار الفرنسي للمدينة بسبعة كانت في شكل خزانات مقاساتها حوالي 3م^2 وعمقها 1م، وهي تتوزع على مختلف أحياء المدينة[4]، وربما يرجع وجود هذه الأسبلة إلى غياب منابع الماء بالمدينة، حيث جاء في رسالة معلومات حول قسنطينة كتبها القائد إبراهيم بأن المدينة لا يوجد فيها أي منبع للماء، وينبغي البحث عنه في الجانب العلوي منها أو في أسفلها بالوادي[5]، وهو نفس الأمر الذي يذكره رميزا (Remuzat)[6]، كما تذكر وزارة الحرب الفرنسية في جدول المؤسسات الفرنسية لسنة 1838 بأن منابع الماء منعدمة بقسنطينة، وانه كان بها خزانات مائية وكان الناس يستسقون من الوادي عبر طريق محمي[7].

و ما يؤكد أيضا اعتماد أهل المدينة على مياه الوادي النص الذي ذكره الحسن الوزان (ق10هـ/16م) و عبد الكريم الفكون (ت1073هـ/1662م) والورتيلاني

---

[1] سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج2، ص 444.

[2] E. Mercier, Constantine avant la conquête, *op. cit.*, p. 72-73.

[3] سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج1، ص 264، 268، 275، 277.

[4] André Nouschi, «Constantine à la veille de la conquête française», *Les Cahiers de Tunisie*, 1955, p. 373.

[5] نقلا عن: M. Emerit, *op. cit.*, p. 254.

[6] نقلا عن: *Ibid*, p. 256.

[7] Ministère de la guerre, *op. cit.*, 1838, p. 82.

(ت1193هـ/1779م) وابن المبارك(1205-1287هـ/1790 1870م)، فالأول أشار إلى طريق كان يوصل الى الوادي، حيث يذكر: «و يوجد بقرب النهر تحت الصخرة درج للنزول منحوتة بالحديد في الحجر، وبجنب الماء رواق مقوس منحوت كذلك بالحديد، بحيث أن السقف والأعمدة والأرض كلها قطعة واحدة تأتي إليها نساء المدينة لغسل الثياب»[1].

أما صاحب منشور الهداية شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون (ت1073هـ/1662م)، فيذكر بأن جلب الماء إلى المدينة كان حرفة ومهنة عند بعض الناس وكانوا يلقبون بالسقائين حيث يقول: «ومنهم رجل يقال له أبو مدين، كان والده سقاء، يبيع الماء من الوادي لأهل البلد على عادة السقائين»[2].

الورتيلاني (ت1193هـ/1779م) ذكر في رحلته بان أهل قسنطينة كانوا يستسقون من ماء واد الرمال حيث يقول: «تحتها واد كبير، وماؤه عذب منه يشربون إذ ينقلون ماؤه إلى الديار، وفيه يسقون ويستسقون ويغسلون ويغتسلون، وعليه بنيت المدينة من قديم الزمان»[3].

أما ابن المبارك (1205-1287هـ/1790-1870م) فقد أشار إلى استمرار الطريق الذي ذكره الحسن الوزان، وأن أهل المدينة كانوا يعبرون عبره إلى الوادي، حيث يقول بأنهم: «بنوا سورا من أسفل باب الجابية إلى الموضع الذي يدخل منه النهر بين الجبلين، ودمسوه من الأعلى ببناء متقن وهندسة محكمة، بحيث لا يصيب الماشي به كور ولا رصاص ولا ضرر من العدو، وجعلوا بداخله طريقين، طريق يهبطون عليه حتى يصلوا إلى الماء، وطريق يصعدون منه لئلا يزدحموا»[4].

---

[1] الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص59.

[2] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص177.

[3] الورتيلاني، المصدر السابق، ص686.

[4] الحاج احمد بن المبارك، المصدر السابق، ص9.

الخاتمة:

إن مخطوط دفتر الأحباس يعد مصدرا هاما سيكون له دور بالغ في الكشف عن جوانب مختلفة من تاريخ مدينة قسنطينة خلال منتصف القرن 10هـ/16م وإلى غاية منتصف القرن 11هـ/17م، وتزداد أهمية المخطوط أكثر إذا علمنا بأنه يضم معلومات جد هامة تخص الفترة الحفصية، وهي الفترة التي تقل حولها الكتابات والنصوص التي تتعرض للجانب العمراني للمدينة.

و من خلال العرض السابق يظهر مدى أهمية المخطوط بالنسبة للدراسات التي تهتم بعمران مدينة قسنطينة، حيث تم استخراج قوائم للعديد من المعالم الدينية والتعليمية والتجارية والمرافق العامة، وقد بينت لنا حقائق عديدة، من أهمها: أن نظرتنا السابقة حول التطور والتوسع العمراني الذي شهدته المدينة خلال العهد العثماني أصبح من الضروري إعادة النظر فيه، فمن خلال مقارنة قوائم معالم المدينة المستخرجة من الدفتر والإحصائيات المستخرجة من النصوص التاريخية والوثائق والسجلات التي ترجع إلى الفترة المتأخرة من الحكم العثماني وعشية وبداية الاحتلال الفرنسي أصبح الآن جليا أن الفرق لم يكن شاسعا وأذكر هنا على سبيل المثال أن عدد المساجد حسب الدفتر 78مسجدا وحسب الإحصائيات المتأخرة حوالي 85 مسجدا، ومنه فإن وتيرة توسع عمران المدينة لم تكن بالصورة التي كنا نراها وإن كانت نظرتنا مبررة بغياب النصوص والمصادر التاريخية التي تتطرق إلى الفترات السابقة للحكم العثماني و بالأخص الفترة الحفصية، وهي الفترة التي صار من الممكن ومن خلال هذا المخطوط إثراء معارفنا حول عمران مدينة قسنطينة.